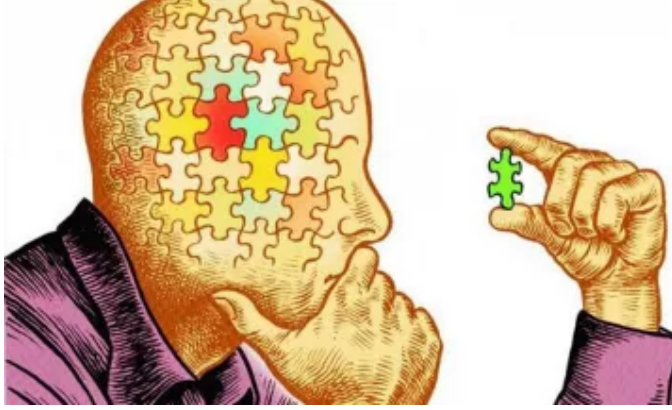


الدرس : 33 - سورة التوبة - تفسير الآيتين : 38-39 ، الصحوة قبل فوات الأوان.



2010-12-31

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن حول الشهوات إلى جنات القربات.

مخاطبة الله عز وجل الكفار وعامة الناس بأصول الدين :

أيها الإخوة الكرام، مع الدرس الثالث والثلاثين من دروس سورة التوبة، ومع الآية الثامنة والثلاثين وهي قوله تعالى:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَنْزَلْتُمُوهَا إِلَى اللَّهِ - عَزَّ وَجَلَّ - فَاللَّهُ - عَزَّ وَجَلَّ - يَسْأَلُ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ وَلَا تَنْتَسِي أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ إِذَا قُرَأَتْ مِثْلَ هَذِهِ آيَاتِ، وَمِثْلَ هَذِهِ آيَاتِ تَقْتَرِبُ مِنْ ثَلَاثِمِئَةِ آيَةٍ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ - عَزَّ وَجَلَّ - مِنْ سُنَنِهِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ أَنَّهُ يَخَاطِبُ الْكُفَّارَ بِأَصُولِ الدِّينِ، أَوْ يَخَاطِبُ عَامَةَ النَّاسِ بِأَصُولِ الدِّينِ، يَقُولُ:

[سورة التوبة]

إخوتنا الكرام، ما من آية لصيقة بكل واحد منكم وأنا معكم كهذه الآية، إنها آية تبين لكم أن الله - سبحانه وتعالى - إن رأى من المؤمن تكاسلاً أو ضعفاً ساق له بعض الشدائد، ليُحْفَزه إلى الطريق إلى الله - عز وجل -، فالله - عز وجل - يسأل: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ ولا تنسى أيها المؤمن أنك إذا قرأت مثل هذه الآيات، ومثل هذه الآيات تقترب من ثلاثمئة آية ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ - عز وجل - من سننه في القرآن الكريم أنه يخاطب الكفار بأصول الدين، أو يخاطب عامة الناس بأصول الدين، يقول:

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (21) ﴾

[سورة البقرة]

لأن علة وجود الإنسان في الأرض أن يعبد الله، أنت في الدنيا من أجل أن تعبد الله، هذه الحقيقة خطيرة، أنت في مكان ما لك مهمة واحدة، فلو ذهب طالب إلى باريس كي يدرس الدكتوراه، هذه المدينة الكبيرة العملاقة التي فيها كل شيء تقريباً، معامل، مصحات، مستشفيات، بيوت للسكن، مراكز للدولة، جامعات، ملاعب، حدائق، أماكن لهو، هذه المدينة العملاقة، هذا الطالب الذي ذهب إلى هذه المدينة لينال الدكتوراه، نقول: علة وجوده في هذه المدينة نيل الدكتوراه.

علة وجود الإنسان في الأرض أن يعبد الله :

هل تصدق أيها الأخ أن علة وجودك في هذه الدنيا، العلة الوحيدة أن تعبد الله، الدليل لولا الدليل لقال من شاء ما شاء، الدليل قوله تعالى:

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (56) ﴾

[سورة الذاريات]

مخلوق في الدنيا من أجل أن تعبد الله، كما أنك في الجامعة وجودك في الجامعة لعة واحدة، أن تتال الدكتوراه فقط، وجودك في المستشفى من أجل أن تشفى، وجودك في السوق من أجل أن تربح، علة الوجود مهمة جداً، وكل واحد في أي مكان موجود ينبغي أن يسأل لماذا أنا هنا؟ لو إنسان سافر إلى مدينة إن جاءها تاجر أتحرك نحو المتاجر،

والأسواق، والمعامل، وإن جاءها سائحاً تحرك نحو المنتزهات، والمقاصف، والأثار، وإن جاءها سائحاً نحو الأماكن الجميلة، تاجر نحو المعامل، طالب علم نحو الجامعات، أي لا تصح حركة الإنسان إلا إذا عرف سر وجوده، في أي مكان أكبر سؤال، أخطر سؤال، أن تقول كل يوم: لماذا أنا في الدنيا؟ أنت في الدنيا من أجل أن تعبد الله، والآية تقول: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾**.

منهج الله المنهج تفصيلي واسع جداً :

ينبغي أن نعلم أن العبادة بالمفهوم الضيق الساذج أن تؤدي خمس عبادات، أن تؤدي الصوم، والصلاة، والحج، والزكاة، وأن تنطق بالشهادة، لكن العبادة بأوسع معانيها أن تخضع لمنهج الله خضوعاً كاملاً، وإياك أن تظن أن منهج الله هو هذه العبادات الخمس، والله الذي لا إله إلا هو منهج الله يقترّب من خمسمئة ألف بند، هذه البنود تبدأ من أخص خصوصيات الإنسان من فراش الزوجية، وتنتهي بالعلاقات الدولية بين الأمم، منهج كامل، كيف تتزوج، كيف تختار زوجتك، كيف تربى أولادك، كيف تعامل جيرانك، كيف تكسب مالك، هذا هو المنهج.

إخواننا الكرام، من لوازم التوفيق أن تعلم علم اليقين وأنت في مكان ما لماذا أنا هنا؟ وأكبر سؤال لماذا أنت في الدنيا؟ أنت في الدنيا بنص القرآن الكريم من أجل أن تعبد الله، والآية: **﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾** وقد يفهم بعض الناس العبادة فهماً ضيقاً جداً، يظنون العبادة أن تؤدي العبادات الشعائرية، وهي الصلاة، والصوم، والزكاة، والحج، والنطق بالشهادة، ولكن الحقيقة أن العبادة بالمفهوم الواسع أن تخضع لمنهج الله بكل تفاصيله، وتفصيل هذا المنهج قد تقترب من خمسمئة ألف بند، شؤون حياتك كلها، زواجك، تربية أولادك، كسب مالك، علاقتك بزوجتك، بوالديك، بأخوتك، بأبنائك، بجيرانك، بمن حولك، بمن فوقك، علاقتك بصحتك، علاقتك بطعامك، بشرابك، علاقتك بالناس، علاقتك بالشأن العام، هذه تفاصيل منهج الله - عز وجل -.

فذلك منهج الله منهج تفصيلي واسع جداً، من هنا كان الذي يحرص على سلامته وسعادته لا بد من أن يقف بعلم دقيق على منهج ربه، منهج الله - عز وجل - افعل ولا تفعل، منهج الله - عز وجل - من عند الخبير، من عند العليم، منهج الله - عز وجل - يحقق لك علة وجودك، وهي السلامة والسعادة، فالإنسان قد ينطلق من حبه لذاته، من حرصه على سلامته، من حرصه على سعادته، فيتبع منهج ربه.

العبادات الشعائرية لا تقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية :

لذلك أتمنى أن تكون متيقناً أن العبادات الشعائرية خمسة بنود في منهج تفصيلي يقترّب إلى خمسمئة ألف بند، الصلاة فرض، والصيام، والحج، والزكاة، والنطق بالشهادة، هذه عبادات شعائرية، لكن العبادات التعاملية أهم، الدليل أن العبادات الشعائرية لا تقطف ثمارها إلا إذا صحت العبادات التعاملية، النبي - عليه الصلاة والسلام - سأل أصحابه فقال:

((ما المُفْلِسُ؟ - فظن أصحابه أنه يسأل عن المفلس حقيقة - قالوا: المفلسُ فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: إن المُفْلِسَ مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فُتِنَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضَى مَا عَلَيْهِ، أَخَذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطَرَحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُطْرَخُ فِي النَّارِ))

[أخرجه مسلم والترمذي عن أبي هريرة]

الصلاة معها استقامة، الصلاة معها صدق، معها أمانة، معها عفة، معها إقنان عمل، معها حكمة، معها رحمة، معها لطف، معها مؤاترة، الإيمان هو الخلق فمن زاد عليك بالخلق زاد عليك بالإيمان.

من أراد أن يحدث الله عز وجل فليدعه :

أيها الإخوة الكرام، الإيمان أن تعرف الله أولاً، ثم تتوجه إليه ثانياً، وتتقرب منه بالاستقامة والعمل الصالح. فذلك الله - عز وجل - يقول: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** واعلم علم اليقين أنك كمؤمن ينبغي إذا قرأت مثل هذه الآيات أن تشعر شعوراً واضحاً مركزاً أنك معني بهذه الآيات، الله يخاطبك يخاطب المؤمن: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** قال: إذا أردت أن يحدثك الله - عز وجل - فاقراً القرآن، فإذا وصلت إلى قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** فالله - جل جلاله - يحدثك، وإذا أردت أن تحدث الله - عز وجل - فادعه، الدعاء تحديث لله - عز وجل -، تحادثه بالدعاء، ويحدثك إذا تلوت القرآن. **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** وأتمنى أن كل آية في القرآن تفتتح بـ **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾** وهذه الآيات تقترب من ثلاثمئة آية، وإذا قرأت هذه الآية يجب أن تشعر أنك معني بهذه الآية، وأن الله يخاطبك كمؤمن.

من يعرف الله يسارع إليه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ الآن هناك حالة تصيب المؤمنين، يضعف إيمانهم، تضعف همتهم، يؤثرن الراحة، يؤثرن البقاء بالبيت، يؤثرن التمتع بما هو حلال طبعاً، أنا أتحدث عن المؤمنين، المؤمنون تأخذهم بعض المباحات، ولا تتسوا أن الإنسان أحياناً يحول بينه وبين الاتصال بربه أشياء كثيرة، طبعاً أكبر هذه الأشياء، أو إذا أردنا أن نرتب

المعاصي والآثام ترتيباً تصاعدياً نقول: الكفر: أن تنكر وجود الله، والشرك: أن تتوهم أن معه آلهة أخرى، إنسان قوي زيد أو عبيد، بيده قوة، يفعل ما يشاء، تتوهم أنه فعال، لكن الفعال الوحيد هو الله.

﴿ فَعَالٌ لِّمَآئِرِدٍ (16) ﴾

[سورة هود]

فإن تضع كل ثقتك بإنسان وتظنه قوياً وتنسى الله عز وجل هذا نوع من الشرك، فصار عندنا الكفر: أن تنكر، الشرك: أن تؤمن بجهة قوية غير الله، بعد ذلك هناك ارتكاب الكبائر - العباد بالله-، أو ارتكاب الصغائر، أو التحريش بين المؤمنين، أو التوسع بالمباحات، فكان هذه الآية تلفت نظر المؤمنين إلى أنك إذا توسعت في المباحات، وأثرت الراحة على العمل الصالح فأنت من الخاسرين.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ النفير حركة سريعة، إقبال شديد، همة عالية، ﴿انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ شددت قدميك إلى المسجد، شددت قدميك إلى عمل صالح، بادرت لإنفاق مالك، بادرت لمواساة من حولك، بادرت لإنفاق العلم على من تعرف، هناك أعمال صالحة تبدأ من الدعوة إلى الله، وتصل إلى أن تُميط الأذى عن الطريق، هذه كلها أعمال صالحة، فأنت حينما تعرف الله تسارع إليه.

﴿ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ (133) ﴾

[سورة آل عمران]

المسارعة مطلوبة لأن الوقت محدود، والحياة فرصة ثمينة لا تتكرر، فرصة ذهبية لأن تنال من خلالها جنة الله التي أعدها لعباده المؤمنين. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ أي سارعوا، شمروا فإن الأمر جد، وتأهبوا فإن السفر قريب، وتزودوا فإن السفر بعيد، وخففوا أثقالكم فإن في الطريق عقبة كزود، أي الهمة العالية، المبادرة إلى العمل الصالح، إلى طاعة الله -عز وجل-، إلى خدمة الخلق، إلى نشر هذا الدين، إنفاق المال، مواساة الفقراء، إطعام الجياع، معالجة المرضى، تأمين سكن لبعض الشباب، أنت حينما تتحرك في طريق مرضاة الله تحقق الهدف من وجودك.

أنواع الجهاد:

1- جهاد النفس والهوى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ ومنه الجهاد في سبيل الله، أي جهاد النفس والهوى، هذا الجهاد النفسي.

﴿ وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (69) ﴾

[سورة العنكبوت]

هذا الجهاد النفسي، يأتي بعده الجهاد الدعوي، قال تعالى:

﴿ فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا (52) ﴾

[سورة الفرقان]

ويأتي بعد ذلك الجهاد البنائي:

﴿ وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ (60) ﴾

[سورة الأنفال]

ويأتي بعد ذلك الجهاد القتالي، الجهاد الأول جهاد النفس والهوى، هذا الجهاد الأساسي، حتى إن بعض الصحابة عاد من معركة فقال: رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر جهاد النفس والهوى، لا بد من أن تجاهد.

﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ ۗ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ ۗ مَلَأَ آبَائِكُمْ إِِبْرَاهِيمَ ۗ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلِ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ (78) ﴾

[سورة الحج]

أول مجاهدة جهاد النفس والهوى، غض البصر مجاهدة، إنفاق المال مجاهدة، ضبط اللسان مجاهدة، ضبط الحواس مجاهدة، رعاية الأهل والأولاد مجاهدة، رعاية الجيران مجاهدة، جاهد قل تشاهد، إن أردت أن تشاهد عظمة الله ادفع ثمن هذه المشاهدة جهاداً، ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾.

2- الجهاد الدعوي:

الجهاد الثاني: الجهاد الدعوي، ﴿ وَجَاهِدْهُمْ بِهِ ﴾ وسمى الله هذا الجهاد جهاداً كبيراً، لأن تعلم القرآن وتعليمه جهاد كبير، وقد قال عليه الصلاة والسلام:

﴿ خَيْرُكُمْ مَطْلَقاً - مَنْ تَعَلَّمَ الْقُرْآنَ وَعَلَّمَهُ ﴾

خيركم، الخيرية المطلقة، من تعلم القرآن و علمه، أول جهاد جهاد النفس والهوى، الجهاد الثاني الجهاد الدعوي.

3- الجهاد البنائي :

الجهاد الثالث الجهاد البنائي، إتقان عملك جهاد، الطبيب الذي يتقن عمله مجاهد، بطور خيرا، يخضع لدورات، أي إنسان بأي عمل، تطوير العمل، وتعميق الخبرة فيه، وتقديم خدمة للمسلمين جيدة متقنة، هذا جهاد أيضاً، جهاد نفسي، جهاد دعوي، جهاد بنائي، والجهاد البنائي شاهده في القرآن الكريم هو قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾

4- الجهاد القتالي :

والجهاد الرابع: الجهاد القتالي، لكن لا ينبغي أنه مجرد أن تستمع إلى كلمة جهاد أن يتجه ذهنك إلى الجهاد القتالي، الجهاد مستويات كثيرة، وأهمها على الإطلاق جهاد النفس والهوى، فما لم تجاهد نفسك وهواك، ما لم تحمل نفسك على طاعة الله، ما لم تحملها على البذل والتضحية، لن تكون مؤهلاً للجهادات التالية، جهاد النفس والهوى هو الجهاد الأول، وأصل كل جهاد، كيف عندنا تعليم أساسي من الأول حتى التاسع، هناك تعليم ثانوي، وتعليم جامعي، ودراسات عليا، ودكتوراه، ونوبل، فالجهاد مستويات، الحد الأساسي الذي لا بد منه، الذي هو أصل كل جهاد، جهاد النفس والهوى، أن تحمل نفسك على طاعة الله، أن تحملها على البذل والعطاء، أن تتلزم، أن تلتزم بما أمر، وأن تنتهي عما عنه نهى وزجر.

على الإنسان أن يستعد للقاء الله عز وجل ولو كان شاباً :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَعَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الإنسان مال إلى الراحة، مال إلى النوم المديد، مال إلى الطعام، أنا أتحدث عن المؤمنين، أتحدث عن مؤمن لا يعصي الله، لكن المباحات توسع بها، وهذه مشكلة أولى للمؤمنين، يتوسع بالمباحات، يعتني بهذا البيت عناية فائقة، يعتني بدكانه عناية فائقة، هذه العناية مقبولة ولا بد منها، أما إذا غطت أوقاته كلها، أو على حساب عباداته هذه العناية أصبحت ليست كما ينبغي فتأتي هذه الآية:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَعَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الإنسان أحياناً يعتني بالبيت عناية تفوق حد الخيال، بعد أشهر أحياناً أو أيام توافيه المنية، والله أعرف إنساناً اشترى بيتاً بأرقى أحياء دمشق، واعتنى به عناية تكاد لا تُصدَّق، القصة طويلة جداً، وبعد أن انتهت الكسوة كاملة بقي عليه أن ينتقل من بيته القديم في أحد أحياء دمشق العادية إلى هذا البيت الرافعي جداً، وافته المنية، فغُسل في بيته الجديد. فالإنسان لا يعرف متى توافيه المنية، لذلك البطولة أن تستعد للقاء الله ولو كنت شاباً.

المؤمن همته عالية يلبي أي دعوة للعمل الصالح :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَعَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾

﴿اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ أي ملتم إلى الراحة، إلى النوم، إلى القراءة المسلية، هناك صحف، ومجلات، ومتابعة مجلات معينة، وبيت مريح، ومقعد ثير، وغرفة نوم مريحة تماماً أكثر وقته نائم، لا أحد يوقظه إلى العصر، جريمة إذا أيقظه أحد، إن جاء من جاء لا مجال لإيقاظه فهو نائم، فرحته، وطعامه، وشرابه، وأموره البيئية كلها درجة أولى، كأنه تتأقل إلى الأرض.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَعَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ المؤمن همته عالية، يلبي أي دعوة للعمل الصالح، ينطلق مسار عالٍ لعمل صالح، الآية: ﴿تَفَعَّلُوا﴾ الآن المشي العادي مشي، أما إنسان نفر إلى الجهاد أي أسرع إلى الجهاد فحركة سريعة. ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَعَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ لكن هناك سؤال محرج: ﴿أَرْضِيئْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ أي الآخرة، والله يا إخوان كلي رجاء أن تستوعبوا ماذا تعني كلمة اللانهاية، الأبد.

﴿إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا أَبَدًا (23)﴾

[سورة الجن]

أكبر رقم تتصوره أمام اللانهاية صفر، ما هذا الرقم؟ ألف؟ لا، أريد مليوناً، ألف ألف؟ لا، أريد مليون مليون، أريد مليون مليون مليون، أريد مليار مليار، أريد مليار مليار حتى ينقطع نفسي، أريد مليار ليوم القيامة، كل هذه الأرقام صفر أمام اللانهاية، واحد بالأرض وأصفار للشمس، تصور مئة وستة وخمسين مليون كيلو متر أصفار، كل ميلي صفر، هذا الرقم إذا نُسب إلى اللانهاية، وأسألوا أهل الاختصاص قيمته صفر، واحد بالأرض وأصفار إلى الشمس، فالدنيا لو عشت مئة وثلاثين سنة، أنا معلوماتي المتواضعة، أعرف شيخاً أزهرياً عاش مئة وثلاثين سنة، أطول عمر سمعت به، لو عاش مئة وثلاثين أمام الأبد صفر، لو كنت بعد سيدنا نوح والحياة ألف سنة أمام الأبد صفر، لو عشت مليار سنة أمام الأبد صفر، أنت تضحي بالآخرة.

الإنسان بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منه :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَعَّلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اتَّقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ الراحة، البيت، النوم، متابعة برنامج معين، قراءة مجلة، قراءة جريدة، تجلس مع أهلك، لا يوجد

موضوع مهم، تسهر سهرة، كلام فارغ، كلام عن الطعام والشراب، أو السياسة، هذا الوقت أنت بضعة أيام، الإنسان بضعة أيام انقضى يوم انقضى بضع منه .
والله أيها الإخوة لا يوجد إنسان يرتكب خطأ يفوق حد الخيال كالذي يضيع وقته، لأنه هو وقت، عندنا تعبير دقيق دراسة الوقت، أو إدارة الوقت، إدارة الوقت من صفات الكبار، الأشخاص المتفوقون يحسنون إدارة الوقت، هناك وقت للدراسة، وقت للنوم، وقت للراحة، وقت لتجلس مع أهلك، وقت تطالع، تقرأ، أنا اطلعت على إحصائية دقيقة أن الإنسان الغربي يقرأ بالسنة ثمانين كتاباً، وسافرت كثيراً، ما رأيت في ركاب القطارات أو الطائرات إلا من يقرأ، الإنسان في الشرق الأوسط كل ثمانين إنساناً يقرأون كتاباً واحداً بالسنة، الواحد يقرأ ثمانين كتاباً في السنة بالعالم الغربي، والثمانون بالشرق الأوسط يقرأون كتاباً واحداً، لا أحد يقرأ، القراءة محدودة جداً، المعلومات محدودة، التصور محدود، القرار خاطئ.

حجم الإنسان عند الله بحجم عمله الصالح :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ اطلب العلم، اطلب المعرفة، ألف كتاباً، اعمل شيئاً، ألقى درساً، ادع إلى الله، ارع مسكيناً، ارع يتيماً، ارع أرملة، تحرك، أنت في الدنيا من أجل العمل الصالح، حجمك عند الله بحجم عملك الصالح، اسأل نفسك دائماً لو أن الله سألتني: يا عبيدي ماذا فعلت من أجلي؟ والله يا ربي أكلنا، وشربنا، واشترينا بيتاً، وعلنا نزهات، وكنا مسرورين جداً، ماذا فعلت من أجلي؟ هل والبيت في ولياً؟ هل عادييت في عدواً؟ حضرت درس علم؟ حرصت على معرفة القرآن الكريم؟ على معرفة السنة النبوية؟ خدمت إنساناً؟ تكلفت بطالب علم؟ أطعمت جائعاً؟ رعت جيرانك؟ الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق، الأعمال الصالحة كثيرة ولو أطعمت هرة، عمل صالح، النبي ذكر:

((بينمار جَلَّ يَمْشِي بِطَرِيقِ اسْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطْشُ، فَوَجَدَ بَيْتاً، فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ التُّرَى مِنَ الْعَطْشِ، فَقَالَ الرَّجُلُ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطْشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي، فَنَزَلَ الْبَيْتَ، فَمَلَأَ خُفَّهُ مَاءً، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ لَنَا فِي النَّبِيِّمْ أَجْرًا؟ فَقَالَ: فِي كُلِّ كَبِيرٍ رَطْبَةٌ أَجْرٌ))

[الخرجه البخاري ومسلم وأبو داود ومالك عن أبي هريرة]

أطعمت هرة أحياناً، أطعمت طيراً، والله أعرف أحياناً يشتري طعام الطيور بكميات كبيرة، يضع هذا الطعام على سطح البيت، تأتي الطيور وتاكل، له عمل، يا أخي لك عمل صالح، أكلنا، هذا ليس عملاً صالحاً، نمنا نوماً عميقاً هذا ليس عملاً صالحاً، أنجبنا أولاداً طبعاً الابن محبوب، رعت ابنك، ألبسته، والله شيء جميل، الابن طفل جميل، يلبس لباساً جميلاً، شيء جيد، شيء ممتع بالبيت، أنت ماذا فعلت من أجل الله؟ هل والبيت في ولياً؟ طلبت العلم؟ خدمت الناس؟ نصحتهم بعملهم؟ والله هناك أعمال لا يعلمها إلا الله، يؤديها أناس كبار عند الله، أنا أريد ألا يكون العمل الصالح بالتعبير المعاصر، أنك قمت به صدفة، إنسان عرض عليك عملاً لئيبته، العمل الصالح هدف واضح يومي عندك، معظم المسلمين إذا عرض عليهم عمل صالح يؤدونه، هذا أداء عفوي، أريد أن يكون العمل الصالح هدفاً مركزاً جداً في حياتك، لأن الإنسان عندما يغادر الدنيا يقول:

﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلِمًا أَتَىٰهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾

[سورة المؤمنون]

تميز صلاة الجمعة بخطبتها :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾ بالأشياء الواضحة بحياتنا اليوم، بادر إلى حضور درس علم، يقول: أنا الحمد لله صليت صلاة الجمعة، لحقت الإمام بالرعدة الثانية لكني صليتها، والخطبة؟ الله قال:

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾

[سورة الجمعة]

افتح كل كتب التفسير ما هو ذكر الله؟ الخطبة، الجمعة متميزة بالخطبة، عبادة دعوية كل جمعة، هو إذا ظن أنه إذا لحق الرعدة الثانية أدرك الجمعة، لا لم يدركها، الجمعة من أجل الخطبة، ونبغي أن تأتي في أول ساعة، كي تستمع إليها بأكملها، الجمعة عبادة، الصوم عبادة، الحج عبادة، الصلوات عبادة، هذه عبادات شعائرية، أما الأهم العبادة التعاملية، إنفاق المال، رعاية الفقير، رعاية اليتيم، رعاية الأرملة، تعليم العلم، الدعوة إلى الله، الطرائق إلى الخالق بعدد أنفاس الخلائق.

الدنيا لا تتناقض مع الإيمان والعمل الصالح والسعي للأخرة :

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْتُمْ قُلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ ﴾ أرضيتُمْ بِأَحْيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْأَخْرَةِ ﴿٩٩﴾ اجمل بيت عمرته، هذا تجلس به دائماً؟ لا، يجب أن تخرج منه لكن لن تخرج عامودياً بل أفقياً، أي بيت تسكنه مهما كان فخماً، لا بد من أن تخرج منه بشكل أفقي، بنعش، هل هناك أحد لا يموت؟ الناس كلهم، يكون ساكناً ببيت، والله أحياناً أدخل لبيوت أقول هذا البلاط من اختاره؟ المرحوم، من اختار هذا الجبصين، شيء رائع جداً؟ المرحوم، من اشترى الثريا؟ المرحوم، من اشترى السجادة؟ المرحوم، أين هو المرحوم؟ بباب صغير، هذه الحياة هكذا، أنا أتكلم بالواقع يا إخوان، والله أحياناً يكون هناك تعزية بأحد أفخم أحياء دمشق، البيت سعره يقدر بمئة وثمانين مليوناً، أحياناً أحضر التعزية، قد تكون هناك قرابة، أقول هذا البيت، من كساه؟ الذي كساه جالس بباب صغير بالقبور، هل هذا الكلام صحيح؟ الذي اشترى البلاط، واختار هذا المنجور، واختار

الجيصين، اشترى الثريات، كل سجادة إيرانية سعرها ثلاثة ملايين، هذا الطقم من الكنبات استورده من إيطاليا، أين هو صاحب البيت؟ باب صغير، البطولة أن تهتم بمثواك الأخير، اقرؤوا كل النوعات؛ وسيشبع إلى مثواه الأخير؛ في باب صغير مثلاً، أو في المهاجرين، هذا المثوى الأخير، مادام القبر هو المثوى الأخير، ما هو المثوى المؤقت؟ بيتك، بقدر ماتعتني به هو مثوى مؤقت.

والله أعرف شخصاً اشترى بيتين، بلاطة كاملة بالطابق الثاني عشر، مطل على الشام، وبقي سنتين يكسو هذين البيتين، قال لي مهندس يعمل عنده: أدواقه ليست معقولة إطلاقاً، أفضل نوع من الرخام، حتى هناك نوع شفاف وضع تحته إضاءة، الأرض مشتعلة، انتهت الكسوة، وانتهى أجله مع انتهاء الكسوة، وغادر الدنيا. هذه الحياة، معي مئة قصة بهذا الموضوع، فأنت فكر بالآخرة، اشتغل، أميس عملاً، ادرس، خذ دكتوراه، توظف، تزوج، أنجب أولاداً، هذا كله وفق منهج الله، هذا ضروري، لكن إياك أن تنسى الآخرة، إياك أن تنسى الجنة والنار، إياك أن تنسى العمل الصالح، إياك أن تنسى طاعة الله، إياك أن تنسى الاستقامة، الدنيا من مصادر مشروعة، وبمنهج مشروع، لا شيء فيها، لكن هذه لا تتناقض مع الإيمان، والعمل الصالح، والسعي للآخرة.

العاقِل من يعد لساعة الموت عدتها :

﴿بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْفَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ﴾ إلى متع الأرض، إلى البيت، تجد كلما تكلفه بعمل، يقول: والله لست منفر غاً، يريد أن يرتاح في البيت فقط، يؤثر الراحة في البيت فقط، ينسحب من أي عمل صالح، يعتذر، تطلب منه مبلغاً مثلاً لجامع، لعمل ما دعوي، يقول: والله لا يوجد معي، نقدي لا يوجد معي، كلها أموال جامدة: **﴿إِنْفَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾** والله مرة شيعنا أخاً من إخواننا، دفن أمامي، وُضع في القبر، كُشِف عن وجهه ثم أهيل عليه التراب، طبعاً وضعوا البلاطة وأهالوا التراب، وانتهى، والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيت على وجه الأرض إنساناً أعقل ولا أذكى ممن يعمل لهذه الساعة، لساعة الموت، يستطيع واحد من الحاضرين وأنا معكم أن يقول: أنا لا أموت، مستحيل! إنسان في مصر يعمل بالفن، سمعت عنه، أنه لم يأكل بحياته طعاماً في المساء، حفاظاً على صحته، يأكل فواكه، ولم يركب طائرة بحياته خوف أن تسقط فيموت، وله قصص طويلة، ووصل للثلاثين والتسعين، لكن بعد ذلك مات.

كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر

والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

وكل ابن أنثى ولو طالت سلامته يوماً على آله حدياء محمول

فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم أنك بعدها محمول

[كعب بن زهير]

متاع الحياة الدنيا قليل إذا قيس بالآخرة :

قال: **﴿فَمَا مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾** إلهك الذي خلقك للجنة ينصحك، قال لك: متاع الحياة الدنيا إذا قسته إلى الآخرة فهو قليل، متاع الدنيا قليل، كلها كم سنة، والله أنا كلما أسمع عن إنسان توفي، من باب الاستفهام أسأل: كم عمره؟ يقول لك: عمره سبعة وخمسون، ستة وخمسون، ثمانية وأربعون، ثلاثة وستون، ما شاء الله، واحد وسبعون، أكثر شيء يصل للسبعين تقريباً، للثمانين قلناً، أكثر شيء سبعين، حسناً سبعين يوجد خمسين إعداداً للعشرين، يُنهي دراسته، يأخذ لسانس، يتعين بوظيفة، ويتعين بأربع أو خمس محافظات بعيدة، بعد ذلك ينتقل إلى الشام، عندما يأتي إلى الشام يكون عنده بيت صغير يقوم بكسوته، يؤسسه، راح من عمره خمسون سنة، هذه الدنيا، انظروا يا إخوان، هذه نصيحة إلهية لنا جميعاً، **﴿فَمَا مَتَاعِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾**.

﴿لَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَتْ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْ لَأَحْرَبْنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ مِمَّا نَفَعُ الدُّنْيَا قَلِيلًا وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77)﴾

[سورة النساء]

أي كم سنة؟ الآن إذا أراد إنسان أن يعمل إحصاء دقيقاً، عاش ثلاثاً وستين سنة، كم مرة عزم فيها؟ وكم مرة عمل نزهة؟ عدة مرات نستطيع عدها، فالإنسان بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منه.

مادام القلب ينبض فباب التوبة مفتوح :

أما الآية الكريمة: ﴿لَا تَتَفَرُّوا﴾ من محبته لكم، من حرصه عليكم، من حبه لكم، ﴿لَا تَتَفَرُّوا يُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ إنسان بدوي عنده أرض بشمال جدة، فلما توسعت جدة، ارتفعت أسعارها ارتفاعاً كبيراً، لكن هو لا يوجد عنده خبرة بالأسعار، باع هذه الأرض لمكتب عقاري خبيث جداً، اشتراها بربع قيمتها، ضحكوا عليه، فهو لاء الشركاء الثلاثة عمروها بناية مولفة من اثني عشر طابقاً -قصة واقعية- فأحد الشركاء وقع من الطابق الثاني عشر إلى الأرض، فنزل ميتاً، الثاني دهسته سيارة، فانتبه الثالث كيف توفي الشرك الأول والثاني ربط هذه القصص بموضوع أخذهم الأرض بربع قيمتها، فبحث عن صاحب الأرض حوالي ستة أشهر، وأعطاه ثلاثة أمثال قيمتها، فهذا البدوي قال له: ترى أنت لحتت حالك، وأنا أقولها لكم وأقولها لنفسي: "الحق حالك" مادام القلب ينبض فعلى الإنسان أن ينتبه، كل شيء يُحل في الدنيا، توبة نصوح.

((لو بلغتْ دُنُوبُكَ عَنَانَ السَّمَاءِ، ثُمَّ اسْتَغْفَرْتَ نَنِي غَفَرْتُ لَكَ، وَلَا أَبَالِي))

[أخرجه الترمذي عن أنس بن مالك]

مادام القلب ينبض فالتوبة مقبولة، توبة كاملة، اعمل توبة نصوحة، و اعمل برنامجاً دينياً، وأد الصلوات الخمس أداءً متقناً، وأنفق جزءاً من مالك، واذكر الله -عز وجل-، واقرأ القرآن، حتى الله -عز وجل- يقبلك في عباده الصالحين.

والحمد لله رب العالمين.